البنية الروائية للمنجز الروائي العراقي والايراني ارهاصات النشأة وعمق التجربة

أ. م. د. محمد مهدي ياسين

جامعة ذي قار – كلية التربية الاساسية

1442ه – 2021م

الملخص :

الرواية نوع ادبي شأنه شأن سائر الأنواع الأدبية الأخرى يخضع في تطوره لمجمل التحولات الاجتماعية في اي بلد، لقد أظهرت الرواية نشاطاً ملحوظاً حتى أصبحت الاتجاه السائد للكتابة العربية, وهي المكانة التي كان الشعر قد تبوأها على مدى أزمنة بعيدة، فقد أثرت تأثيراً كبيراً في العقلية العربية، وضربت أطنابها بها, ان الأدب العربي الحديث, رغم انه يستمد إلهامه من التقاليد الروائية الغربية ظاهرياً, ان جذوره ترجع حقيقةً إلى الشكل العربي التقليدي الذي استلهم منه الغرب ذلك الشكل الأدبي، اما الادب الفارسي فقد كان من الطبيعي إلا يظهر في إيران خلال القرنين الأولين أدب إيراني قومي نظراً للصبغة الإسلامية التي طغت على جميع البلاد التي فتحها العرب ومن بينها إيران, لقد كانت الموجة المصدرة من الغرب أكبر من أن تواجه من قبل الأدب الإيراني الحديث، حاله حال الأدب العراقي الحديث بالأفكار، والفنون، والأجناس الأدبية الحديثة المصدرة من الغرب. وهنا يجب أن ننوه أن المنشأ أو المصدر الذي ينهل منه كل من الأدب الحديث في العراق أو إيران هو واحد ونقصد هنا–الغرب– طبعا، وخير ما يقوم به الباحث لمقارنة النثر العربي والنثر الفارسي أن ينظر إلى كتاب عربي وترجمته, فيرى توافق الترجمة الأصل, وكيف تخالفها من أجل مراعاة أسلوب اللغة ، وذوق أهلها.

Abstract

Might be the first thing that is of interest to the scholar and presents such a subject is to stand on a known issue leads us to recognize that this genre, like all other literary genres subjects to the development of the total social transformations in any country. In this sense, the novel has shown a significant activity until it became the mainstream of Arabic writing, the position that poetry had over a long period of time and how it has greatly influenced the Arab mentality. Modern Arabic

literature, although inspired by Western narrative styles, its roots in the traditional Arabic form inspired the Western style. In the first two centuries, Iranian literature did not emerge as a national literature because the effect of Islamic style that dominated in many countries affected by Islamic style. Modern Iranian literature is like modern Iraqi literature, influenced by the modern ideas and genres that carry the Western style. Here we must take into consideration that the origin of the modern literature in Iraq or Iran is one which is the Western style. In this regard, the researcher, if he wants to make a comparison between the Arabic and Persian prose through a translated book between these two languages, he will find that the original and translated book are identical, just the difference in the style of each language and how it is preferred by their natives.

نشأة الرواية العراقية

عند انطلاق الرواية العربية كان الأدباء العرب بصورة عامة، والعراقيون بصورة خاصة لا يُفرقون بين المسرحية، والقصة، والرواية ، وكان الخلط واضحاً بين هذه الأجناس، فلم يكن ليعرفها أحد بالأسلوب الغربي من قبل، فان بداية الرواية بُنيت على شكل قصة مترجمة أخذت تنساب الى الأدب العربي، و"لعلَّ أول ما يستأثر اهتمام الدارس وهو يعرض لموضوع كهذا الوقوف على مسألة معروفة تقودنا إلى التسليم بأنَّ هذا النوع الأدبي شأنه شأن سائر الأنواع الأدبية الأخرى يخضع في تطوره لمجمل التحولات الاجتماعية في البلد، والتي يفرزها واقع التغيير السياسي، والاقتصادي فيه، فالفن الروائي – مثلما هو معروف – يشكل الوعاء المناسب لاحتواء التجارب الإنسانية، فردية كانت أم جمعية، فضلاً عن كونه أخصب الأشكال الفنية وأليقها لحمل الفكرة الجديدة، والتأثير في قارئها، إذ يمكن أن تتغيَّر نظرته للحياة وموقفه العام منها"[1], وقد كان للتطور النوعي الذي شهده المجتمع العراقي منذ الحرب العالمية الثانية وإلى الآن أثره الفاعل في تجسيد رؤية كتاب القصة في العراق – أسوة بغيرهم – سواء أحدث ذلك في مجال الرواية أم في القصة القصيرة، في أشكالها أم في مضامينها [2]،

ومهما سجِّل لعمل سليمان فيضي الرائد" (الرواية الايقاظية , 1919م), فقد صار مسلماً به بين الباحثين أن محمود أحمد السيد الرائد، والأب الحقيقي للرواية العراقية وذلك أولاً: لابتعاد العمل الفيضي ابتعاداً كبيراً عن الفن الروائي, ولإصدار السيد محاولة روائية أولى هي (من سبيل الزواج) عام 1921م, كانت أكثر انتماءً بشكل واضح إلى الفن الروائي" [3]، وقد عزز المحاولة الأولى بمحاولة ثانية هي (مصير الضعفاء) 1922م, وان السيد كان يمتلك وعياً فنياً، ونقدياً مبكراً, وثقافة غير عادية بالفن الروائي, فان هذا الكاتب الرائد أصدر محاولته الروائية الثالثة (جلال خالد) 1928م التي عززت اتجاهاً واقعياً تبناه بوعي واضح [4] .

لقد سُجلت الريادة الحقيقية المكتملة الأركان لغائب طعمة فرمان, فكانت البداية للرواية الفنية في العراق, "مفتتحاً بعمله الرائد (النخلة والجيران) عصر الرواية الذهبي حين تتالت الأعمال الروائية لروائيين بحق, ومنهم الكاتب الرائد نفسه" [5], وقد ازدهر الفن الروائي العراقي بعد ذلك، وذاع صيته محلياً، وعربياً وكانت البيئة المحلية خصبة، ومتلقية لانتشار مثل هكذا جنس أدبي كما يرى (جبرا إبراهيم جبرا) في كتاب الذي أشار فيه إلى تقبل المجتمعات العربية لتكتسح الأجناس الأدبية الأخرى كلها إذ يقول: "ان صعود وازدهار الفن الروائي في الثقافة العربية الحديثة بأن المجتمعات العربية لم تتغير خلال مراحل تأريخها الطويل كما تغيرت مدى الخمسين عاماً الأخيرة, لقد أظهرت الرواية نشاطاً ملحوظاً حتى أصبحت الاتجاه السائد للكتابة العربية, وهي المكانة التي كان الشعر قد تبوأها على مدى أزمنة بعيدة"[6]، فقد شهدت المدة الممتدة من سنة 1965 أو 1966م إلى سنة 1980, وقبل دخول البلاد في الحرب المجنونة, العشرات من تلك الأعمال، التي اخفق بعضها، مع تميز بعض آخر في شيء, وحقق بعض آخر الحدود الدنيا لمتطلبات الفن الروائي، فان أعمالاً أخرى قد تجاوزت هذه الحدود ليقف إلى جانب أفضل الأعمال الروائية العربية, بل إلى جانب أعمال روائية عالمية, ليفي ذلك ان الرواية العراقية قد استحقت - في هذه المرحلة- اهتماماً أكبر من الناقد[7]، فقد أثرت تأثيراً كبيراً في العقلية العربية، وضربت أطنابها فيها, " لقد كانت مدرستان فكريتان راسختان في الماضي, تتبنى كل منهما فكرة محدودة عن نشأة الأدب العربي الحديث, وكانت احداهما ترى أن الأدب العربي الحديث تمتد جذوره إلى الأشكال الأولى من التراث العربي, وبخاصة المقامة, وهذه ما يطلق عليها أحياناً النظرة (التقليدية), اما النظرة الأخرى, فترى أن الأدب العربي الحديث ما هو إلا نتيجة مباشرة وطبيعية للاتصال بالغرب, وتقليد النوع الأدبي الغربي"[8]. وقد أثرت العقلية الغربية على الأدب العربي تأثيرا كبيرا وهو الحق الذي لا يمكن أن نحيد عنه، ونخص بكلامنا هذا جنس الرواية على وجه الخصوص, الأمر الذي انعكس على الأدب عامة, وعلى الفن الروائي بشكل خاص, كفن غربي المنشأ, دخيل أو طارئ مستجد على الساحة العربية, هذا الفن الذي يعنى بدقائق الأمور، والغني بمجالات التعبير، والتصوير، ومن هنا فان الإشارة إلى أن هنالك رأياً أكثر اعتدالاً، وأقل تطرفاً يمكن أن يفك الاشتباك بين كل هذه الآراء المتقاطعة، والمتضاربة وهو: " ان الأدب العربي الحديث, رغم أنه يستمد إلهامه من التقاليد الروائية الغربية ظاهرياً, فان جذوره ترجع حقيقةً إلى الشكل العربي التقليدي الذي استلهم منه الغرب ذلك الشكل الأدبي" [9]. واذ ما أردنا ابراز صورة المرأة – على شبيل المثال - في إطار الثقافة العربية فانها قد "شهدت تحولاً واضحاً اتجهت فيه النظرة إلى المرأة من التنوع (ما بين السلب والإيجاب) لتستقر على شكل نمطي يتكرر في الأشكال المختلفة للتراث الثقافي, ففي الأدب العربي القديم ... سادت

صورتان مختلفتان للمرأة بنيت الأولى على صفات السلب، وحددت ملامح المرأة بوصفها كائناً، مكروهاً تحتل مكانة أدنى, وبنيت الثانية على الإيجاب أن ظهرت فيها المرأة ذات مكانة معنوية عالية"[10]، فمن خلال هذا المثال البسيط يمكن أن نستشف مدى التذبذب الذي بنت عليه الرواية أسسها في النهل من الثقافتين الغربية، والشرقية على حد سواء. فالرواية هي حياة كاملة متكاملة يصورها الكاتب في سطوره، وكلماته بأحداثها، وزمانها، ومكانها وحواراتها, ولما كان الأدب الروائي أدباً شمولي التصوير, بمعنى: أنه يفصل في دقائق الامور، ويصور حياة الشخوص بدقة، وبكامل التفاصيل, ولأن الروائيين العرب الأوائل اجتهدوا في نقل فن الرواية بشكل دقيق على غرار الرواية الغربية, كما اهتموا بنقل ما دونوه من حضارة الغرب، وأسلوبها، وسلوكياتها إلى بلدانهم، ونرى رأيا يذهب الى أبعد من ذلك اذ يرى أن الرواية العربية "هي فن متأثر, بالدرجة الأولى, بالرواية الأوربية, فقد ظهرت بوادر الرواية العربية بعد ظهور الرواية في أوربا على ما يربو عن القرن, وذلك على أيدي سليم البستاني، وجرجي زيدان، وغيرهما وكان حظ مصر وافراً في هذه الريادة عربياً, لأنها حلقة وصل بين الغرب الأوربي، والشرق العربي, فكانت حركة الترجمة من اللغات الأوروبية إلى اللغة العربية، وكذلك البعثات العربية، وانتشار الصحافة قد أسهمت كلها في دخول هذا الفن الحديث نسبياً– إلى الأدب العربي" [11].

نشأة الرواية الإيرانية :

اللغة الفارسية: أصلها "لغة الشعب الإيراني المسماة باللغة الفارسية هي لغة من اللغات المعروفة في العصر الحاضر باسم (اللغات الهندية الإيرانية) أو اللغات (الآرية)، وهذه بدورها فرع من فصيلة اللغات الهندية الأوربية, وترجع أهم النظريات في تقسيم اللغات الإنسانية إلى فصائل ثلاث :- الأولى: الفصيلة الهندية الأوربية، الثانية : الفصيلة السامية الحامية ، الثالثة : الفصيلة الطورائية "[12] . واللغة الفارسية القديمة "استعملت أيام الدولة الأكمينية (330-550ق.م) وتمثلها النقوش المنحوتة في الصخر, أما (لغة الافستا)، فهي اللغة التي كتب فيها كتاب (زردشت) المعروف بهذا الاسم, ومن أقدم أجزائه التراتيل، المعروفة باسم (كاتها)، وينسبون كتابتها إلى (زردشت) نفسه، أو إلى بعض تلاميذه (حوالي 600ق.م" [13]، وتشمل الفصيلة الهندية الأوربية" ثماني طوائف هي: اللغات الهندية الإيرانية, أو (اللغات الآرية)،2- اللغات الارمينية، 3- اللغات الاغريقية 4- اللغات الألبانية ، 5- اللغات الايطالية، 6- اللغات السلتية، 7- اللغات الجرمانية 8- اللغات البلطيقية السلاقية "[14]، ان ما يتعلق بنا من هذه الطوائف, الطائفة الأولى التي تنتمي إليها اللغة الفارسية, وتشمل طائفة اللغات الهندية الإيرانية أو (اللغات الآرية) بدورها إلى شعبتين : "احدهما : شعبة اللغات الهندية (السنسكريتية, البراكريتية, واللغات الهندية الحديثة)، والأخرى: شعبة اللغات الإيرانية (الفارسية القديمة, والافستية, والبهلوية, والفارسية الحديثة, والكردية, والافغانية)، ولكثرة وجود الشبه بين هاتين الشعبتين عدهما علماء اللغة طائفة واحدة، سموها طائفة (اللغات الهندية الإيرانية) أو (طائفة اللغات الآرية"[15] وهناك مدة اخرى أعقبت الفارسية القديمة المذكورة انفاً وقد حددها المؤرخون بـ "غزوة الاسكندر، وفتحه لفارس في سنة 333ق.م, وتنماز هذه المدة بخلوها من الآثار الأدبية, وقد استمرت خمسة قرون ونصف القرن وانتهت بقيام الدولة

الساسانية "[16]. لابد من الإشارة إلى أن هنالك لغةً قد سبقت الفارسية "هي اللغة البهلوية, وهذه اللغة الأخيرة هي اللغة الرسمية التي سادت في البلاد الفارسية أيام الساسانيين (651-226م) وهي التي استمرت لغة الدين بين (الموابذة الزردشتيين) طول القرنين أو الثلاثة اللاحقة لذلك, وان الآداب البهلوية الموجودة في أيدينا تبلغ في حجمها حجم التوراة وإنها في الغالب تتعلق بموضوعات دينية أو فقهية, يضاف إليها بعض النقوش البهلوية المكتوبة على الصخور أو النقود أو المجوهرات التي يرجع تاريخها إلى منتصف القرن الثالث الميلادي"[17]. وبالعودة إلى الفترة الثالثة بعد (الفارسية القديمة وغزوة الاسكندر) ذكرنا أنها بدأت بإيذان قيام الدولة الساسانية "حيث أصبحت اللغة البهلوية على أيامها اللغة الرسمية للدولة وللدين الزردشتي, وهذه اللغة هي وليدة اللغة الفارسية القديمة والتي ولدت بدورها اللغة الفارسية الحديثة "[18], وذكرنا انها بدأت (651-226 م) أما المدة الرابعة فتسمى بالـ "الفتح العربي 641-651 م, وقد نتج عن هذا الفتح ان اسلم أكثر الفرس وحلت اللغة العربية محل الفارسية, وأصبحت لغة الدولة والأدب"[19] لتنطلق المدة الخامسة والمسماة بـ "عصر النهضة الفارسية, وهو العصر الذي يبدأ من سنة (850 م أي 236 هـ) ثم تأخذ في الوضوح كلما استطاعت (فارس) التحرر من ربقة الخضوع لخلافة بغداد، وتحقيق استقلالها السياسي"[20]. ومما يجدر الإشارة إليه فيما يخص اللغة البهلوية سالفة الذكر أنها "ما هي إلا تطور للغة الفارسية القديمة التي لا نعرف عن أمرها إلا بقدر ما تبقى مسجلاً منها في النقوش المنحوتة على الصخور" [21]. ان (الفارسية) قد " أصابها قليل جداً من التغيير خلال السنوات الألف الماضية, ربما لا يبلغ في مداه مدى التغيير الذي أصاب اللغة الانجليزية خلال القرون الثلاثة الأخيرة"[22]، وقد توقفت اللغة الفارسية عن امتدادها الطبيعي بان تكون لغة رسمية وأدبية بعد دخول العرب إيران "على مدى قرنين تقريباً, كانت السيادة فيهما للغة العربية, سواء في النواحي الرسمية أو الأدبية, ثم بدأت تظهر في ثوبها الجديد كلغة قومية وأدبية في القرن الثالث الهجري"[23]. ولا شك ان "أقدم الآثار الأدبية في اللغة الفارسية الإسلامية لا تكاد تتميز عن الآداب الفارسية المعاصرة إلا ببعض الخصائص اللغوية المتعلقة بالمفردات، والأساليب" [24].

وكان من الطبيعي ان لا يظهر في إيران خلال القرنين الأولين"أدب إيراني قومي نظراً للصبغة الإسلامية التي طغت على جميع البلاد التي فتحها العرب ومن بينها إيران, وأدى هذا بالطبع إلى ضعف اللغة الفارسية والأدب الفارسي, فأصابهما وهن شديد انزلهما إلى لغة العامة وأدب العامة, ان شعر هذه اللغة وهذا الأدب أصبح من الشعر العامي الذي لا يرقى إلى مرتبة الأشعار الأدبية التي تقال في حضرة الحكام، والأمراء"[25]. ويظهر الأدب الفارسي الحديث، ونضجه، واتضاح معالمه كان للقصص البهلوية مادته الغزيرة, والأدب الفارسي الحديث "نعني به الأدب الفارسي الإسلامي الذي كتب بالفارسية الحديثة المتطورة عن البهلوية, ومن أبرز خصائص هذه اللغة اتخاذ الحروف العربية، ودخول كثير من الكلمات العربية فيها,هذا فضلاً عن كلمات أخرى آرامية، ويونانية، ولاتينية دخلتها معربة، أو من لغاتها الأصلية عن غير طريق العرب, وألفاظ مغولية ، وتركية, ولكن سائر الكلمات الدخيلة من حيث عددها تتضاءل أمام كثرة الألفاظ العربية التي تربو على نصف ألفاظ هذه اللغة"[26]. مما جعل من العربية متداخلة مع الفارسية، بل طغت عليها، وأصبحت أكثر استعمالا فلو"ان أحداً أراد أن يكتب شيئاً (بالفارسية) بحيث تكون كتابته خلوا من الألفاظ العربية لتعسر عليه الأمر كما يتعسر على الذي يريد ان يكتب شيئاً بالانجليزية بحيث تكون كتابته خالية من كل كلمة اشتقاقها

من أصل (يوناني) أو (لاتيني) أو (فرنسي)"[27]، لقد بدأ الأدب الفارسي الحديث المذكور انفا" تقليداً للأدب العربي فكانت بواكيره الأولى أبياتاً تعزى إلى هذا أو ذاك على أنها أول شعر فارسي" [28]. وما زالت الجهود البحثية التي تعنى بالعلاقات العربية – الإيرانية, وتحديداً الأكاديمية, الجادة منها تعاني الفرادة والعزلة, ووصلت إلى حد الندرة, "وقد عانى الباحثون ذلك فمعظمهم جاز نصف الوقت المحدد للدراسة بحثاً, وان كتب النجاح لذلك, فهو لا يعدو معلومات مجزأة, وهي في أفضل الأحوال, تمثل تراكماً مترابطاً في السنوات المتعاقبة, والتكامل النوعي لدائرة البحث المطلوب"[29]، لقد كان للشعراء، والأدباء، والكتاب مادتهم الغزيرة في الأدب الفارسي الحديث و" كان جمهرة شعرائه العظام شعراء قصة, كما شغلت (الشاهنامات)* أو كتب الملوك وأخبارهم أكبر حيز منه, وبرزت إلى جانب الروايات القومية الحماسية، والعاطفية، والمثنويات المطولة التاريخية، والمذهبية, القصة القصيرة التي ملأت كتب الأدب، والنصيحة، والسياسة، والأخلاق، وأصبحت لازمة من لوازم الكتاب والشعراء الذين ألفوا أو نظموا في هذه الأبواب"[30] وغيرها كثير، هي ابرز موضوعات الأدب الفارسي وجلها موضوعات قديمة جديدة سار عليها الأدباء الفرس (الإيرانيون) جيلاً بعد جيل ويقال "ان اللسان الفارسي القديم الذي نجده في الآثار كان أكثر استعماله في الآثار والرسائل الرسمية, وأما الخطاب بين الناس فكان بلغة قريبة من الفهلوية"[31]، لقد أسلفنا الذكر عن تعسر الكتابة بالفارسية واستحالتها من دون استخدام الألفاظ العربية, من دون أن تنوه إلى بعض المحاولات القليلة والنادرة التي يستشهد بها دائماً بعض الإيرانيين وعلى ندرتها, و" لقد استطاع بعض الناس الاستغناء عن الألفاظ العربية على نطاق ضيق, ولكن كتاباتهم تظل عسيرة الفهم إذا لم يستعن القارئ على فهمها بمعجم من المعاجم اللغوية"[32]، وهنالك رأي آخر يقول بأنها" مشتقة من اللغات الآرية وقريبة من السنسكريتية, وأطول النقوش الفارسية القديمة نقوش(دا را)" [33], وهو رأي ليس ببعيد فان الرأي الذي ذكرناه في مقدمة هذا المبحث، أما " الآداب الفهلوية فأفرز مادة, وأوسع موضوعاً، وأجدر بالعناية, لأن اللغة الفهلوية, بما ضمنت من حقائق وأباطيل, أثرت كثيراً في الآداب الفارسية الحديثة, ولم تخل من أثر في الآداب العربية, ولدينا من الآثار الفهلوية كتب عديدة يبتدئ تاريخها مع الساسانيين (القرن الثالث الميلادي), ويستمر إلى الفتح الإسلامي, وتلحق بها كتب قليلة الفن في العهد الإسلامي فان علماء الزردشتين لم ينقطعوا عن الكتابة بالفهلوية حتى اليوم"[34] ونحن نجد "الآثار الفهلوية, مكتوبة بلغة اقرب إلى الآرامية منها إلى الفارسية, وان الإنسان ليعجب حين يسمع أن الآرامية في فهلوية الأنصاب أكثر من العربية في الفارسية الحديثة, وقد عدَّ صاحب الفهرست سبعة أنواع من الكتابة، استعملها الفرس قبل الإسلام, ثم قال ان عندهم هجاء يسمى زوارثن (هزفارش) ليميز الكلمات المبهمة, وأنهم كانوا اذا أرادوا أن يكتبوا (كوشت) مثلاً وهو اللحم كتبوا الكلمة السامية (بسرا) ولكنهم يقرأوها (كوشت), وإذا أرادوا (نان) وتعني الخبز, كتبوا (لهما) وقرأوها نان وهكذا"[35]، يجب علينا النظر إلى اللغة الفارسية من وجهتين: "من حيث انها لغة تخاطب ومن حيث انها لغة العلم والأدب, فأما من الوجهة العلمية فقد وقفت اللغة وقفة طويلة, ولم يؤلف فيها إلا كتب قليلة معظمها في الدين, ويمكن أن يقال ان انتاجها قل على مر الزمان حتى عقمت تماماً بعد قرنين من ظهور الإسلام"[36]. فالكتب التي انتشرت وألفت في العصر الإسلامي "وبقيت على مر الزمن لا تتجاوز عصر المأمون, وأكثرها كتباً دينية أراد بها الزردشتيون الدفاع عن دينهم، والإبقاء عليه، وقد تقدم ذكر

بعضها"[37]. والـــــــتنويه على بعـض منه. " لقد تجاور العرب والفرس، وتخالطوا, وكل ما وقع بينهم من أحداث مودة أو عداوة نابع من هذه المجاورة, فكل الأحداث من حرب، وسلم, وتردد القوافل التجارية, بين جزيرة العرب وإيران, واستعانة الفرس برؤساء العرب, والتجاء هؤلاء الرؤوساء إلى الفرس فيما يعز بهم من الخطوب – كل هذا, ريب يصل لغتي الأمتين, ويقرب بين آدابها, وعندنا آثاره من هذه الصلات في العصر الساساني ولاسيما أواخره, وإذا قسمنا العصر البعيد الذي لم يسجل التأريخ أخباره, بالعصر القريب من الإسلام ظننا ان الصلات بين الأمتين في الأمور الاجتماعية والأدبية أقدم عهدا مما عرفنا"[38]. ونتفق مع الرأي الذي طرحه (محمد رضا شفيعي كدكني) حينما يقول: "في الثقافة الفارسية وآدابها كثير من الكنوز والروائع الأدبية التي تستحق الترجمة والنقل إلى اللغة العربية "[39], فهذه المقولة نتذكرها كلما اطلعنا على رواية إيرانية، على الرغم من ان بعضاً من الايرانيين– القوميين خاصة– لا يعترفوا بفضل اللغة العربية والشعر العربي، الا أن أغلب الدارسين والمتخصصين من الفرس اعترفوا للعرب بأنهم قد أخذوا الشعر منهم وما قصة (بهرام جور بن يزدجر) المعروفة إلا هي اعتراف بذلك " فقد بعث به أبوه إلى الحيرة لينشأ بها, فتعلم لغة العرب، وشعرهم، ويقول شمس الدين الرازي في كتابه (المعجم في معايير أشعار العجم) ان بهرام جور أول من نظم الشعر بالفارسية وانه اخذ الشعر من العرب في الحيرة, وان علماء الفرس استهجنوا فيه قرضه للشعر، فَنَهوه عنه, وهي قصة معروفة ... بل روى بعض المؤلفين لبهرام شعراً فارسياً وعربياً, فالقصة ... لا تخلو من دلالة على صلة أدبية قديمة" [40]. اما ما يخص تأثر الأدب العربي بالمؤثرات الفارسية, فان نسرين هاني الدهني في كتابها (استقبال الأدب الفارسي المعاصر في الوطن العربي) قد ذكرت أسباباً جعلت فيها مؤثراً في الشعر العربي ووضعتها على نقاط نذكر منها :

1- الأثر السياسي : "فقد استفاد من صورة ملك كسرى القوي, الذي لم تستطع عظمته وشهرة حكامه، وقدرتهم أن تخلدهم, فصاروا كلهم مادة للموعظة وعبرة للناس جميعاً, وقد تأثر الأعشى كذلك بحرب ذي قار, وحذر كسرى من قضية إنذاره للعرب وقوم الأعشى خاصة, فإذا استطاعت فارس أن تجعل بعض العرب تابعين لها فأن الأعشى يرفض ذلك, فيرسل في أخريات حياته أبياتاً بضمنها رفضه لسياسة كسرى، ولا بأس من التذكير بإيوان كسرى على سبيل المثال في المدائن وكيف كان محط لكثير من القصائد العربية التي نظمت فيه أو تضمنها" [41].

2- رحلاته وتجواله : "اما الأثر الثاني فيتجلى في رحلاته وتجواله فقد تحدث الأعشى في شعره عن رحلاته إلى فارس, ونقل كثيراً من الصور إلى شعره, وحدثنا عن ولع الفرس بالخمر, وشهرتهم بالصناعة, وعنايتهم الشديدة بالحدائق، وأزهارها, وإتقان أهلها الغناء والعزف على أدوات نقل أسماءها إلى العربية, وهذه النقطة أيضاً في شعرنا العربي تضمين كبير لرحلات ومواضع في بلاد فارس ضمنها الشعر العربي ووصفها وصفاً دقيقاً .

3- أثر مدينة الحيرة في شعر الأعشى : ولعل الأثر الأهم في رحلاته إلى الحيرة التي كانت طبيعة فارسية بالدرجة الأولى, وانتقلت مدينة فارس إليها, وبالرغم من عدم ثبوت فارسية الحيرة وهو أمر لسنا بصدده إلا ان الأستاذة نسرين الدهيني قد جعلت من شعر الأعشى المثال

الأوحد لتعزز به رأيها في حين ان هنالك الكثير من الشعراء قد ضمنوا شعرهم ما تفضلت به وليس الأعشى وحسب.

4- الأثر الثقافي : يعد استخدام الأعشى للمفردات والألفاظ الفارسية ضمن الأثر الثقافي, وتبقى الثقافة التاريخية, ولاسيما أيام فارس وحروبها, مادة ثقافية غنية استقى منها صورة الشعرية مدحاً أو فخراً..., فالأعشى تأثر بإيقاعات الغناء والحان الموسيقى وبجملة من الأخبار الشفاهية الفارسية "[42], ولم تورد لنا أي دليل على كلامها بالتأثر المزعوم هذا، ونقلنا له إنما لدعوة المتابعين إلى نفي أو تأييد هذا الرأي لا أكثر. لقد " فضل ابن قتيبة العرب على العجم على الرغم من ان العجم قومه, إلا انه قال بالعدل بين الناس لأنهم لأب واحد وأم واحدة خلقوا من تراب, ومدح مزايا العرب من كرم، وشجاعة، وحلم، وحياء، وعلوم اختصوا بها, ورد افتخار العجم بانتسابهم إلى الأنبياء, وبين ان فخرهم هذا لأساس في معيشتهم الصحراوية, ... ووجدان للعرب فضيلة ترنو على جميع فضائل الأمم إلا وهو الإسلام " [43]. ونورد هنا أمثلة تبين قوة الوشائج والصلات بين العرب والفرس أهمها ما نقله (أبو مسلم الخراساني) فهو "على فصاحته التي جعلت رؤبة بن العجاج يقول : ما رأيت أعجمياً أفصح منه, كان لا يستطيع النطق بالقاف, و (بابك الخرمي) كان لسانه منعقداً بالفارسية كما يقول صاحب الفهرست, ويحدثنا الجاحظ أن لغة أهل البصرة، بل لغة أهل المدينة, كان بها كثير من الكلمات الفارسية في أيامه, مما يدلنا على بقاء الفارسية وتأثيرها البعيد, ويحدثنا أيضاً انه سأل خادماً له إلى من أرسل هذا الغلام ؟ فقال : إلى أصحاب (السند نعال), يعني (النعال السندية), وأمثال هذا في كتب الأدب كثر, وهو يحكي في كتاب البخلاء, جملاً فارسية كثيرة"[44] . أما الفرس أنفسهم " فقد خلطهم الإسلام بالعرب أي خلط ! فالقبائل العربية انتشرت في الإرجاء الفارسية, والفرس انتقلوا إلى البلاد العربية اسارى أو مهاجرين طلباً للرزق أو العلم أو المناصب, فالمدينة على نأيها كان بها فرس. وسرعان ما تعلم الفرس العربية وشاركوا في العلوم الإسلامية ولكن كان للفرس قبل قيام الدولة العباسية حال تختلف عن حالهم بعدها كل الاختلاف" [45]. اما "المصاهرات النسبية، والعقائدية، واللغوية، والأدبية فهي أكثر من أن تعد أو تحصى في العصور القديمة أو الإسلامية أو الحديثة, وإذا نظرنا إلى فنون الأدب في العصر الحديث من شعر، ونثر، وقصة، ورواية، ومسرحية، ومقال نجد أن هناك توازياً واضحاً في خطوات هذا التطور وهو ما يفتح المجال لدراسات مقارنة حيث كان أدباء كل من العرب وإيران يتابعون كل ما يحدث على الساحات الأدبية والفنية في كلا الطرفين" [46]. لقد اطلع الإيرانيون بالتدريج "على الثقافة والحضارة الغربيتين في القرن الثالث عشر الهجري, وكان (عباس ميرزا ابن فتح علي شاه من أوائل من أطلع على التقدم العلمي في الغرب, ومهد في تبريز لدوران عجلة الطباعة, وإصدار الكتب والصحف بعد ان استورد أول مطبعة" [47], وكان حال الإيرانيين بذلك حال العراقيين خاصة والعرب عامة, فقد كانت الموجة المصدرة من الغرب أكبر من أن تواجه من قبل الأدب الإيراني الحديث، حاله حال الأدب العراقي الحديث بالأفكار، والفنون، والأجناس الأدبية الحديثة المصدرة من الغرب. وهنا يجب أن ننوه إلى ان المنشأ أو المصدر الذي ينهل منه كل من الأدب الحديث في العراق أو إيران هو واحد ونقصد هنا – الغرب– طبعا. ويعرف المتابعون لحركة الإبداع في إيران, "عن قرب أو بعد ان هنالك حالاً من الازدهار في الفنون التشكيلية، والمسرح، والسينما، والنحت، والرسم، والعمارة، والموسيقى، والرواية، والشعر، والنثر، والنقد"[48], وهذا الازدهار هو حاله حال

الازدهار الذي ساد المنطقة ومن ضمنها العراق, وكان هذا الازدهار نتيجة للانفتاح على الغرب وكان الانفتاح للمنطقة عموماً وليس محدداً ببلد دون غيره، وعند دراستنا للرواية الإيرانية لا بد من ان نسلط الضوء على عصر مهم مر به الواقع الإيراني وهو (عصر الحركة الدستورية) : و "يشتمل أدب العصر الدستوري على ذلك القسم من الأدب الفارسي الذي امتدت جذوره في العقود الثلاثة الأخيرة من سلطنة (ناصر الدين شاه), الذي ظهرت خصائصه العامة في السنوات التي أدت إلى انقلاب العام 1920 م والسنوات التي أعقبتها أيضاً" [49]. وقد أتيح لبعض الشعر، وبعض المسرح، وبعض الفنون التشكيلية أن تصل في صورتها, وإيقاعها إلى القارئ، والمتابع العربي, و" في حدود ضيقة جداً تكاد تنحصر في نماذج مما تقدمه الصفحات الثقافية العربية ويقرأه قراؤها شبه المتخصصين من التحية , في حين انه لا يصل إلى القارئ العادي إلا نماذج من الأدب اليومي" [50] ، ان تاريخ اكتمال ... النثر "الذي يمكن تسميته أبا اللغة القصصية الجديدة, يعود إلى أواسط سلطة (ناصر الدين شاه), وإذا, استثنينا نثر (قائم مقام الراهاني) السلس، والمطعم بالفنون الأدبية، فيجب القول ان نثر هذه المرحلة بدأ بآثار كتاب كبار... ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى القصص التاريخية التي كتب فيها العديد من الكتاب في المدة ما بين الحركة الدستورية وظهور الكتابة بالأسلوب الجديد, وكذلك إلى ظهور الروايات الاجتماعية، والانتقادية, وكذلك المقالات السياسية، وظهور نثر يمكن تسميته (نثر المقالة) فكان نثراً سهلاً ممتنعاً, أختار كل كلمة من كلماته بعناية"[51] . ان العلاقات العراقية الإيرانية علاقات متأصلة بتأصل التأريخ, ومنبثقة بين شعبين، تربطهم مجموعة كبيرة من الأواصر التي تمتد حتى تصل إلى وحدة الثقافة، والعقيدة، والموقع الجغرافي, فان جغرافية إيران هي اقرب جغرافية إلى العراق من الدول المجاورة, فإذا نظرنا إلى جغرافية تركيا نرى اقرب منطقة تبعد عن الحدود العراقية من 300-400 كم, وكذلك السعودية والأردن وسوريا, ولكننا حينما ننظر إلى جغرافية إيران كأنما ننظر إلى جغرافية واحدة, فالبعد بين المدن العراقية والإيرانية يعد غير محسوس سواء كان في الجنوب أو الوسط أو الشمال (مناطق كردستان)، احس الإيرانيون بحاجتهم الملحة الى طباعة الكتب والصحف وقراءتها, كما يصورها لنا (إسماعيل حاكمي) بقوله: "هنالك شعور متزايد بالحاجة إلى طباعة الكتب والصحف وقراءتها, والى تزايد أعداد الذين تعلموا القراءة، والكتابة وإيجاد المدارس الجديدة. ومن هنا صارت أساليب الكتابة القديمة طي النسيان, وحل الأسلوب السهل والبسيط محل الأسلوب المعقد وبالتالي وقعت ثورة حقيقية في النظم والنثر"[52]. اما فيما يخص حركة الترجمة في إيران فأنها" تتسم بالسرعة, ومواكبة ابرز وآخر الانتاجات على صعيد الفكر العالمي, وهذا النشاط يكتسب خصوصية واضحة في ما يرتبط بالنتاجات الأدبية والعلمية التي تشهدها العواصم الغربية, فما ان يصدر الكتاب في لندن وباريس وواشنطن حتى يجد مكانه سريعاً أو بعد بضعة أشهر في الأكثر, على رفوف المكتبات الضخمة الواقعة مقابل الباب الرئيسي لجامعة طهران, في شارع (انقلاب إسلامي) أي (الثورة الإسلامية) "[53]، وان "ترجمة مقالات ونصوص مسرحيات (ميرزا فتح علي أخوندزاده) ورسالات وأشعار (ميرزا اقاخان كرماني) والكتابات التحررية للشيخ (احمد روحي) وكتب (ميرزا عبد الرحيم طالبوف) و (سياحت نامه) لزين العابدين مراغيب, كانت من بين المساعي التي تركت بصماتها بشكل كبير على تنوير أذهان القراء يومذاك وظهور الأفكار التحررية"[54]. نشأ الأدب الفارسي الحديث في رعاية الأدب العربي وتحت سلطانه وطبع على غراره في أكثر

الأساليب والموضوعات, "اخذ الأدب الفارسي عن العربي معظم موضوعات الشعر والنثر وعلى صور الشعر وأساليبها من الوزن والقافية والسجع وأنواع البديع الخ" [55]. وخير ما يقوم به الباحث لمقارنة النثر العربي والنثر الفارسي ان ينظر إلى كتاب عربي وترجمته, فيرى توافق الترجمة الأصل, وكيف تخالفها من اجل مراعاة أسلوب اللغة وذوق أهلها, فإذا قارن أي باحث بين أي كتاب عربي مترجم للفارسية ترجمتين مختلفتين, لاتضحت امامه جليا كيفية اشتراك اللغتين في كثير من الألفاظ والعبارات وضروب البديع وكيف تختلفان في التفصيل والمبالغة والإطناب. ان ما يميز النثر الفارسي ان "أثر النثر العربي عليه أبين : فالألفاظ العربية فيه أكثر, والتركيب قريب من التركيب العربي, ولكن لا بد من فرق بين النثر الأدبي – ونثر الرسائل والمقامات – وبين نثر الكتب, فأما الأول فقريب من الشعر, وأما الكتب فمع اشتراكها كلها في كثرة الألفاظ العربية ينبغي ان يفرق فيها بين كتب التاريخ التي هي قصص يستعمل فيها الكلام المعتاد غالباً, وبين المؤلفات العلمية مثل كتب الفقه والتوحيد والبلاغة والطب وهلم جرَا" [56]، وتتنوع فنون الأدب الفارسي, و"قد أقترن ظهور معظمها بنشأته وظل مصاحباً له حتى وقتنا هذا؛ من ذلك القصيد والرباعي والمثنوي والغزل والترجيع بند والتركيب بند والمسمط والموشح والمربع والمخمس, إضافة إلى الفنون النثرية الأخرى المعروفة" [57].لقد استقبل الأدب الفارسي المعاصر في اللغة العربية بأجناسه جميعها, من شعر ورواية وقصة ومسرحية, و" تنوعت أشكال نشره بين مجموعات شعرية ومختارات ودواوين, ومجموعات مختارات قصصية, ومجموعات مسرحية ومسرحيات متعددة, بينما نشرت الروايات مستقلة"[58]. ولا يختلف متابعان على وجود صلات وثيقة بين العرب والفرس وهي قديمة قدم التأريخ "الصلات بين العرب والفرس قديمة جداً ترجع إلى ما قبل الإسلام ومن خلالها يمكن تقسيم الروايات إلى قسمين "[59]: ما قبل العهد الساساني وهي أساطير, وما بعده وهي تاريخ أو قريب من التاريخ وتتفق الكتب العربية والفارسية على بعض الأساطير, وأعظم مصادرها كتاب (الشاهنامة) للفردوسي, ومنها (أسطورة الضحاك). وقد برزت أسماء لأدباء إيرانيين في الساحة الأدبية العربية مثل: نيما يوشيج, واحمد شاملو, وبروين اعتصامي, وسهراب سبهري, وفروغ فرخزاد (في الشعر), ومحمد علي جمال زادة, وجلال آل احمد, وصادق هدايت, وصمد بهرنكي, وغلام حسين ساعدي, وبهرام بيضائي, وإسماعيل فصيح في الرواية, وكلها أسماء لها قيمتها واعتبارها في الساحة الأدبية الإيرانية قبل الثورة الإسلامية وبعدها " [60] .

الهوامش :

1- مختصر محاضرات في نظرية الرواية: 32

2- الأدب القصصي في العراق: 228

3-التجربة الروائية في العراق في مرحلة الريادة الفنية والنضج : ج 2 / 11

4- التجربة الروائية في العراق في مرحلة الريادة الفنية والنضج : ج2 / 11-12

5- التجربة الروائية في العراق في مرحلة الريادة الفنية والنضج : ج 2 / 6

6- ينظر : زمن الرواية : 1

7- التجربة الروائية في العراق في مرحلة الريادة الفنية والنضج : ج 2 / 6-7

8- الغضب الناعم , الرواية النسوية بين العربية والانجليزية – دراسة مقارنة - : 45

9- الغضب الناعم , الرواية النسوية بين العربية والانجليزية – دراسة مقارنة: 45 -46

10- هل تمثل الثقافة العربية صورة واحدة للمرأة : 326

11- ينظر : الرواية الدرامية – دراسة في تجليات الرواية العربية الحديثة : 6

12- فنون الشعر الفارسي : 2

13- تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى سعدي : 12

14- فنون الشعر الفارسي : 3

15- فنون الشعر الفارسي : 3 - 4

16- تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي الى سعدي : 12

17- المصدر نفسه : 11 , وأيضاً في \ الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهلية والإسلام : 12

18- المصدر نفسه : 12

19- المصدر نفسه : 12 , وأيضاً في \ الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهلية والإسلام : 12-14

20- الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهلية والإسلام: 12-13

21- المصدر نفسه : 11

22- تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى سعدي : 10

23- فنون الشعر الفارسي : 17

24- تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى سعدي : 10

25- فنون الشعر الفارسي : 17-18

26- القصة في الأدب الفارسي : 42

27- تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى سعدي : 14

28- القصة في الأدب الفارسي : 42

29- العلاقات العربية الإيرانية , الاتجاهات الراهنة وآفاق المستقبل . (بحث) : 9

30- القصة في الأدب الفارسي : 77

*** الشاهنامات : هي جمع لـ (شاهنامة) أي – كتاب الملك – (الباحث)**

31- الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهلية والإسلام : 12

32- تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى سعدي : 14

33- الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهلية والإسلام : 12

34- المصدر نفسه : 15

35- المصدر نفسه : 19-20

36- الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهلية والإسلام : 39

37- المصدر نفسه : 39 -40

38- الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهلية والإسلام : 31

39- الأدب الفارسي منذ عصر الجامي وحتى أيامنا : 7

40- الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهلية والإسلام : 32

41- ينظر : استقبال الأدب الفارسي في الوطن العربي : ج1 / 23-24

42- ينظر : استقبال الأدب الفارسي في الوطن العربي : ج1 / 24-25

43- استقبال الأدب الفارسي في الوطن العربي: ج1/ 35

44- الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهلية والإسلام : 41

45- المصدر نفسه : 44

46- إيران تاريخ وحضارة : 5-6

47- الأدب الإيراني المعاصر : 231

48- الأدب الإيراني المعاصر : 6

49- الأدب الفارسي منذ عصر الجامي وحتى أيامنا : 83-84

50- الأدب الإيراني المعاصر : 6

51- ينظر : الأدب الفارسي منذ عصر الجامي وحتى أيامنا : 97-98

52- الأدب الإيراني المعاصر : 232

53- أزمنة الثقافة الإيرانية : ج2 / 283

54- الأدب الإيراني المعاصر : 231-232

55- الصلات بين العرب والفرس وادابهما : 58

56- الصلات بين العرب والفرس وآدابهما : 60-61

57- ينظر : فنون الشعر الفارسي : ب / المقدمة

58- استقبال الأدب الفارسي المعاصر في الوطن العربي : ج1 : 78

59- ينظر : الصلات بين العرب والفرس وادابهما : 21

60- ينظر : استقبال الأدب الفارسي المعاصر في الوطن العربي : 78

المصادر والمراجع :

1- الأدب الإيراني المعاصر : أسماعيل حاكمي , الطبعة الأولى , دار الروضة للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت – لبنان , 2005 م

2- - **الأدب الفارسي منذ عصر الجامي وحتى أيامنا :** محمد رضا شفيعي كدكني , ترجمة : بسام ربابعة , عالم المعرفة , الكويت , أكتوبر , 2009 م .

3- الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية – أتجاهاته الفكرية وقيمه الفنية : عبد الأله أحمد , الطبعة الأولى منشورات وزارة الأعلام سلسلة دراسات , دار الحرية للطباعة , بغداد , 112/ ج2 , 1977 م .

4- - **أزمنة الثقافة الإيرانية معايشة من الداخل :** جواد علي كسار , الطبعة الأولى , مركز الحضارة لتنمية الفكر الأسلامي , سلسلة الفكر الإيراني المعاصر , ج1 , 2 , بيروت 2011 م .

5- - **أستقبال الأدب الفارسي المعاصر في الوطن العربي** : نسرين هاني الدهني , الطبعة الأولى , مركز الحضارة لتنمية الفكر الأسلامي , ج1 – 2 , بيروت , 2008 م .

6- **إيران تاريخ وحضارة :** بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع جامعة قطر , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , ط 2 , اب أغسطس - 2001م .

7- - تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى سعدي : ادوارد جرانفيل بروان , ترجمة : إبراهيم أمين الشواربي , الطبعة الثانية , مكتبة الثقافة الدينية , القاهرة , 2007 م .

8- - التجربة الروائية في العراق – في مرحلة الريادة الفنية والنضج : نجم عبد الله كاظم , الموسوعة الثقافية , سلسلة ثقافية تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة , العراق – بغداد , ج 2 , د . ت .

9- - الرواية الدرامية , دراسة في تجليات الرواية العربية الحديثة : باسم صالح حميد , مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية 2013 , وزارة الثقافة , العراق – بغداد , ط 1 - 2012 م .

10- - زمن الرواية : جبرا إبراهيم جبرا , مجلة فصول , ج 2 , عدد / 12 , القاهرة , الهيئة المصرية , 1993 م .

11- - الصلات بين العرب والفرس وأدابهما في الجاهلية والأسلام : عبد الوهاب عزام , كلمات للترجمة والنشر , القاهرة - 2013 م .

12- - العلاقات العربية الإيرانية , الأتجاهات الراهنة وآفاق المستقبل , بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع جامعة قطر , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , ط 2 , اب أغسطس - 2001م .

13- الغضب الناعم – الرواية النسوية بين العربية والأنجيليزية – دراسة مقارنة : العنود محمد الشارخ , ترجمة : سامي خشبة , المركز القومي للترجمة , القاهرة , ط 1- 2007 م .

14- - فنون الشعر الفارسي : إسعاد عبد الهادي قنديل , دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت – لبنان , ط 2 - 1981 م .

15- - القصة في الأدب الفارسي : أمين عبد المجيد بدوي , دار النهضة العربية للطباعة والنشر , 1981 م .

16- مختصر محاضرات في نظرية الرواية : سهير القلماوي , معهد البحوث والدراسات العربية , القاهرة 1973 م

17- - هل تمثل الثقافة العربية صورة واحدة للمرأة : سعاد المانع , مجلة علامات , المجلد العاشر , ج 39 .